علاقة الألف بالهمزة في العربية

الأستاذ الدكتور: رشيد عبد الرحمن العبيدي

يمثل الرسم الكتابي في العربية ـ منذ أقدم عصورها حتى يومنا هذا ـ تاريخاً متصل الجذور بالكتابة العربية في الجزيرة العربية، وفي خارجها، ولا سيما الأصقاع التي خرجت إليها الموجات العربية، كالعراق، وبلاد الشام، وهي الأصقاع التي احتفظت لنا بأبجديات مختلفة المواضيع كالأوكريتية، الكنعانية والفينيقية، ثم التي جاءت بعدها كالأبجدية الآرامية، وهي (أبجديات) تحتفظ بصوت الهمزة، وتضع له رسماً كتابياً معيناً، يدحض القائلين[1] بعدم وجود رمز خطي لها في العربية القديمة التي أطلق عليها المستشرقون اسم (السامية)، فالنقوش التي عثر عليها في (زبد) و(حرّان) و(النمارة) و(أم الجمال)، وفي ما بقي من آثار في الثمودية والصفوية من لهجات الجزيرة العربية صور من رسم الألف والهمزة، على الرغم من بعض الاختلافات في رسمها، تدل على أصالة هذا الحرف في أساسيات الحروف العربية التي توارثناها في الأبجدية، والتي حاول النصر بن عاصم الليثي: (٨٩هـ) أن يحولها إلى (الفبائية) مرتبة بحسب صورة الحروف، وتقارب رسومها بعضها من بعض أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ . . . إلخ.

وقضية كون (الهمزة) في العربية ذات رمز كتابي معروف في العربية شك فيه أكثر من عالم من علماء العربية أنفسهم، كالمبرد (٢٨٥هـ) وابن درستويه: (٣٤٧هـ) والأزهري: (٣٧٠هـ) وغيرهم[2].

---

(١) ينظر بحث لفؤاد حسنين، بعنوان الهمزة/ مجلة كلية الآداب ـ القاهرة: عدد ١ م/ ٨ سنة: ١٩٤٦: من ص ٢٩ إلى ١٣٨ والوجيز للأنطاكي: ط: حلب: ١٩٦٩ ص ١٨٧.

(٢) المقتضب: ١/ ٣٢٨، وكتاب الكتاب: ٢٤، واللسان: ١/ ١٧.

وهذا الشك يسوغ لمثل إبراهيم أنيس في كتابه: (الأصوات اللغوية)[١] وإميل يعقوب في كتابه: (الخط العربي، نشأته، تطوره، مشكلاته، دعوات إصلاحه)[٢] أن يذهب كل منهما إلى أن الهمزة صوت لم يكن له رمز كتابي خاص به في العربية، وهو قول يحتاج إلى توثيق علمي دقيق ومصدر يؤكد هذا الادعاء؛ لأن مثل هذا الادعاء يلغي ـ أصلاً ـ وجود حرف في العربية، ملتصق بنظامها الصوتي، ومندرج في أبجديتها التي تنطلق أساساً من الهمزة نفسها في (أ ب ج د) (هـ و ز) (ح ط ي)، فضلاً عن أن تصويته في الجهاز النطقي يبتدىء بـ (أ) من لفظ (ألف) كما أن حرف (العين) ـ مثلاً ـ يبتدىء بالحرف (ع) وأن حرف (الصاد) يبتدىء بالحرف (ص) وهكذا سائر حروف العربية[٣]، بل إننا لنجد منذ البدء أن لفظ (الألف) يجمع بين أمرين هما:

١ ـ البدء بصوت الهمزة من كلمة (ألف).

٢ ـ التسمية (بألف) رمزاً عليها، (أ)، وهو ما اشتهر عند الباحثين القدماء والمحدثين، والفارق بين نطق الهمزة صوتاً حنجرياً مجهوراً وحرف المد (أ) هو الفرق بين تحقيقها في النطق، وتليينها أو تسهيلها وتحويلها إلى واو أو ياء أو ألف، وهي أصوات مديدة.

ورسم الهمزة من الأبجديات العربية القديمة كان قد اتخذ أشكالاً وصوراً اتحدت في التصويت، وتفاوتت بعض الشيء في الرسم، وهي على الأشكال الآتية[٤]:

أ ـ رسمت في العربية القديمة قريبة من رأس ثور (𐤀) وكانت هذه الصورة قد احتفظت بها الفينيقية من الكنعانيات.

ب ـ ورسمت في العربية من الكنعانيات: (𐤀).

جـ ـ ثم رسمت في الأبجدية الآرامية: (𐡀).

د ـ ورسمت في النبطية: (𐢀).

هـ ـ ثم آلت في النتيجة إلى رسمها في العربية إلى: (أ).

والذي يتتبع هذه الرسوم يلاحظ أن هناك تطوراً لرسم (الألف) في هذه الأبجديات، وأن القرب في الرسم واضح، وأن ما استقر عليه رسم الهمزة فوق ألف المد برأس حرف العين (ء) هو ـ أيضاً ـ صورة من صور التطور الذي أصاب هذا

---

(١) ص: ٩٠.

(٢) طبع لبنان ١٩٨٦، ص ١٠٢.

(٣) ينظر: دراسات في علم اللغة: د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، ص: ١/ ٤٩.

(٤) ينظر: الهمزة مشكلاتها وعلاجها: د. شوقي النجار، ط: السعودية ١٩٨٤، م: ص: ٢٣ ـ ٢٤.

الحرف عبر تأريخه الطويل في الأبجديات القديمة المنبثقة من الجزيرة، وفي تسمية علماء العربية (الهمزة) بأنها (ألف) دلالة على أنهم كانوا لا يميزون بين كونها (ء) أو (أ)، أي بين أن ترسم رأس عين، أو حرف مد، يقول الزجاجي: (٣٣٧هـ): «إذا أضفت الممدود إلى مكني كتب المرفوع بالواو بعد الألف والممدود بالياء بعد الألف، كقولك: هذا عطاؤك، وكأن حكم المنصوب أن يكتب بألفين، أحدهما: الأولى... والأخرى التي تكون بدلاً من الهمزة، كما كان حكم المجرور بالياء والمرفوع بالواو، وكان سبيلك أن تكتب: (رأيت كساءك) بألفين»[١].

والذي يتأمل كلام الزجاجي يتبين من خلاله أنه سمَّى الألف والهمزة (ألفين) وكررهما في كلامه، وأراد في كون (كساءك) كتبت بألفين، (الهمزة) المنفردة والألف قبلها، أي: أنها في الأصل (كساأك) ثم وضعت همزة منفردة: (كساءك).

وهذا يعني أنهم كانوا لا يتحرجون من أن يطلقوا على الهمزة مصطلح الألف، وربما فعلوا ذلك في إطلاق مصطلح الهمزة على الألف ـ أيضاً ـ والجمع بين المصطلحين على دلالة واحدة وهو حرف الألف المهموز أو غير المهموز هو أمر متوارث من عرب ما قبل الإسلام، فقد عرف أن الخط النبطي الذي يعدّه بعض الباحثين أساساً لتطور الخط العربي الموروث كان يستخدم صورة الألف دالاً على صوت الهمزة، وانتقل ذلك إلى العربية الباقية، وأصبح رمزاً كتابياً معروفاً فيها[٢].

وفي كلام ابن جني: (٣٩٢هـ)، وهو يشير إلى ما سبق أن أوضحته في تسمية (الألف) ألفاً مبدوءاً بحرف الهمزة، أن (الألف) هي (الهمزة)، فهو يقول: «إن كل حرف سميته: ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه ألا ترى أنك إذا قلت: جيم، فأول حروف الحرف: جيم ـ وكذلك إذا قلت: ألف فأول الحروف التي نطقت بها همزة، فهذه دلالة أخرى ـ على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً[٣].

ومع أننا ننطق (أحمد) بهمزة فحاء وميم ودال، لكننا حين نذكر حروف (أحمد) نقول: (ألف وحاء وميم ودال)، فنسمي الهمزة ألفاً ولا يمتنع أن نسميها همزة، لأنّ المراد واحد، ومن هنا يقول ابن جني: «اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة»[٤] وذلك أننا حين نبتدىء في ذكر الألفبائية العربية،

---

(١) كتاب الخط: ١٤٣، وكتاب الكتاب: ٣٧.

(٢) انظر: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي. د. صلاح الدين المنجد، ط: دار الكتاب الجديد، بيروت/ ١٩٧٢م، ص ١٣.

(٣) سر الصناعة: ١/ ٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٤١ وانظر: شرح المفصل: ١/ ٢٢.

نبتدىء بلفظ (ألف) فـ (باء) فـ (تاء) فـ (ثاء)... إلى (ياء).. وإنما نريد بلفظ (ألف) ـ كما هو رأي ابن جني ـ الهمزة نفسها.

وهكذا الكتابات التي وصلت إلينا من الجاهلية والإسلام، كتبت الهمزة فيها (ألفاً)، وفي الرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام رسمت الهمزة (ا) تعبيراً عنها.

على أننا ينبغي أن ندرك مسألة مهمة تمس التصويت المصاحب لهذا الحرف في العربية، فالمعلوم أن لفظ (شأن) و(رأس) قد كتبت الهمزة فيها ألفاً فوقها صورة رأس العين، وهو أمر ألفته الكتابة العربية، لكننا حين نخفف هذه الهمزة، ننقلها إلى (ألف المد) من غير أن نضع فوقها صورة رأس العين، فنقول: (راس) و(شان)، فتبقى الألف كما كانت لم يختلف إلا النطق، ومن هنا كانت قراءة الحجازيين بالمد في نحو: (لئن أكله الذيب) و(لقوم يومنون) (وكل يوم هو في شان) وفي عكس ذلك ما نراه من تحويل الألف همزة حين يضطر الناطق إلى تحريكها وعند الوقف عليها، نحو قولهم: «رأيت رجلأ»[١] وكما في: (دأبه) و(شأبة) و(احمأر) و(الضألين). وبين (ألف المد)، و(الياء والواو المديدتين) صلة من حيث التحول والثبات، فالياء والواو المديدتان قد تكونان محولتين من همزتين ساكنتين قبلهما مضموم أو مكسور نحو: (شؤم)، فتتحول إلى (شوْم) و(بئر) فتتحول إلى (بيْر)، أي: إن الهمزتين في الموضعين قد تحولتا إلى صائتين طويلين[٢] كما يفعل معها عند تحويلها إلى (ألف مد) في نحو: (سألت) فتصبح (سالت). يقول الرازي: (٦٦٦هـ) «وقد تخفف الهمزة، فيقال: سال يسال، والأمر منه سل، ومن الأول: اسأل»[٣] ويقول ابن جني في تحويل الألف ـ في النطق ـ همزة عند الوقف عليها: «ومن ذلك قول بعضهم في الوقف: «رأيت رجلأ» بالهمزة.. فهذه الهمزة بدل من الألف في الوقف في لغة من وقف بالألف، لا في لغته هو، لأن من لغته أن يقف بالهمزة، أفلا تراه كيف راعى لغة غيره فأبدل من الألف همزة»[٤].

إن هذا الإبدال من الألف إلى همزة ـ عند الوقف ـ كما ذكر ابن جني، وعند تحريكها كما نقلت كتب اللغة الأخرى[٥]. وقراءة أيوب السجستاني قوله تعالى:

---

(١) الخصائص: ٢/ ١٧.

(٢) دراسات في علم اللغة: د. كمال بشر: ١/ ٥٩.

(٣) مختار الصحاح: ٢٨١ (سأل).

(٤) الخصائص ٢/ ١٧، وانظر: الكتاب: ٢/ ٢٨٥ (ط: بولاق).

(٥) شرح الشافية: الرضي: ٢/ ٢٤٨ وشرح الشواهد: البغدادي: ٤/ ١٦٨ وينظر المنصف: ١/ ٢٨١.

﴿ولا الضالين﴾[١]. بحركة الألف وتحويلها إلى همزة: ﴿ولا الضألين﴾ هي قراءة شذذها المازني، كما ذكر ابن جني في (المنصف)[٢]، ونقل عن أيوب أنه قال في تعليل تحويل الألف إلى همزة «بكراهة اجتماع حركتين من جنس واحد على غير الصور المحتملة في ذلك، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت في الآخرة، فالتقى ساكنان، فحرك الألف وزاد صوتاً بحركاته» وإلى ذلك ـ أيضاً ـ ذهب الزمخشري: (٥٣٨هـ) وابن الحاجب: (٦٤٦هـ)[٣].

والذي أراه أنَّ (الألف) هي الصوت الوحيد من بين أصوات المدّ الذي يتميز بانتقاله إلى صوت الهمزة حين تدخله الحركة، في حين لا نجد هذه الخصيصة في كل من الواو أو الياء، فبإمكان المرء في مثل (ولد) و(حوز)، و(تمايز) و(يلد) و(استجوب) و(عاين) أن يقوم بأية حركة على الواو والياء من غير أن يحوّل أياً منهما إلى همزة ثم لا تجد مثل ذلك واقعاً على الألف، إذا ما اضطررت إلى حركته، لأن الحركة عليه تحوله إلى الهمزة، كما سبقت الإشارة في مثل قراءة عمرو بن عبيد: «فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأنّ» يجعل ألف (جأنّ) همزة، وإنما قلبوا الألف همزة؛ لأنها من الألف، ولقد سأل المبرد شيخه المازني في (الضألين) و(جأن) لم تحولت الألف فيهما إلى الهمزة، وهل كان ذلك قياساً مطرداً، فكان جوابه أن بعض العرب يفعل ذلك فيها ـ أي الألف ـ عند تحريكها، ورفض المازني أن يكون ذلك قياساً[٤] وذلك أنه لا يرى اطراداً في مواطن الألفات التي ترد في سياق مفردات الكلام، فلا يمكن أن نجري الحركة على الألف في كل كلمة ترد في كلام العرب، بل هي مقصورة على مفردات اضطرَّ العربي إلى حركة الألف فيها ليستقيم ـ عنده وزن شعر ـ مثلاً ـ، إذ لا يستقيم هناك ـ وزن الشعر باجتماع الساكنين»[٥] أو تخلصاً من ثقل النطق، أو الوقوف على الألف، ويهمزها ليقف على الهمزة، كما سبقت الإشارة، ولذلك كانت هذه الصور اضطرارية، وليست قاعدة مطردة، فلا يصح ـ مثلاً ـ أن نقول في (يخاف) الفعل المضارع: (يخأف) بالهمز، ولا في مثل (معاد): (معأد)، لأن ذلك كله ليس من أصول العربية، ولا ضوابطها.

أما أن بعض العرب يبدل الواو في مثل: (وشاح) و(وسادة) و(وعاء) همزة،

---

(١) الفاتحة: ٧.
(٢) وانظر كتابنا: المازني: ص: ١٥٤ ـ ١٥٥.
(٣) شرح الشافية: ٢/٢٤٨.
(٤) انظر: شرح الرضي على الشافية: ٢/٢٤٨.
(٥) المصدر نفسه: ٢/٢٤٨.

فيقول[١]: (إشاح وإسادة وإعاء) كما يقول في (وجوه) (أجوه) و(وعد: أعد) و(وحد: أحد)[٢] فذلك كله أمر موكول إلى كون هذه التبدلات لهجات قبلية، جعلها بعض اللغويين مطردة عند بعض قبائل العرب، فهم يبدلون الواو المكسورة همزة، كما نجد ذلك في لغة هذيل، فقد قالوا: في (ورث): (إرث)[٣] وهذا مطرد في لغتهم ولذلك يرى المازني أن ذلك مطرد، لأنه يمثل لهجات معروفة للعرب، يبدلون الواو المكسورة همزة في أوائل الكلمات[٤]، ولذلك يذهب ابن جني إلى أن إبدال الواو المفتوحة والمضمومة من مثل: (وجوه وأجوه) و(وعد وأعد) وقولهم: (قطع الله يده: أده) هو مطرد، (ردّوا اللام وأبدلوا الفاء همزة، وأبدلوا المفتوحة ـ أيضاً ـ، فقالوا: أناة في وناة وأحد في وحد وأجم في وجم، وأسماء في وسماء)[٥].

وهذه الإبدالات جميعاً ـ هي أمور لهجية، تطرد عند بعض اللغويين، وتتوقف على السماع عند بعضهم الآخر، ولذلك نجد الرضي قد قصر مثل هذه الإبدالات على السماع[٦].

ويؤكد السماع سيبويه (١٨٠هـ)، فيزعم أنه سمعهم ينشدون: [من البسيط]

إلا الإفادة فاستلوت ركائبنا عند الجبائر بالبأساء والنعم

كما نقل المازني في التصريف[٧].

ومن مجموع ما يقدّم في تحويل الواو والياء والألف إلى الهمزة نجد البون واضحاً في انتقال الألف إلى همزة، وانتقال الواو والياء إليها، وهذا البون يمكن وضعه في النقاط الآتية:

١ ـ إن انتقال الألف إلى الهمزة، لا يتأتى إلا بحركة الألف بالفتح، وأن حركة الواو أو الياء بالفتحة أو الضمة أو الكسرة موجودة قبل نقلها إلى الهمزة.

٢ ـ إن تحوّل الواو والياء إلى الهمزة في كلام العرب هي قضية لهجية، تخص كلام بعض العرب دون غيرهم، وليس التحول الذي يحصل في الألف إلى الهمزة متصلاً بلهجة دون أخرى، بل هي حالات فردية، ترد في كلام بعض الناس، كقراءة عمرو بن عبيد، أو قراءة أيوب السجستاني أو غيرهما.

---

(١) تصريف المازني: (المنصف عليه) ١/ ٢٢٨.
(٢) ينظر: الأشموني على الألفية: ٣/ ٨٣٦ والصحاح للجوهري: ١/ ٢٩٥.
(٣) ينظر: المخصص: ابن سيده: ١٤/ ١٢.
(٤) انظر: الصحاح: ١/ ٢٩٥.
(٥) سر الصناعة: ١/ ١٠٤ والمفصل: ٣٦٢، والإبدال للزجاجي: ١٠.
(٦) انظر: شرح الأشموني على الألفية: ٣/ ٨٣٦ وشرح الشافية: ٣/ ٧٨.
(٧) المنصف: ١/ ٣٢٨.

٣ ـ إن العلاقة بين الألف والهمزة، علاقة صميمية، تفرضها الضرورة النطقية، كالتخلص من الثقل، أو منع التقاء ساكنين، أو التخلص من كسر الوزن الشعري، فيفرّ المتكلم من الألف إلى صوت الهمزة، أي: من المد الطويل، إلى قصر الهمزة المتحركة، فهي قضية صوتية تخص باحثي علم الأصوات، ولذلك نجد معالجاتها عند علماء التجويد، والصوتيون يعللون سبب هذا التحول في النطق[١]، في حين لم يكن تحول الواو والياء إلى الهمزة في الأمثلة التي سردناها من الضرورات، بل هي قضايا لهجية مطردة كما سبقت الإشارة.

ويبدو أن تفسير الأزهري[٢] لصيغة (افعأل) في العربية من نحو (اطمأن) و(اشرأب) و(ازبأر) و(ادهأم) و(احمأر) يقرّب الصورة ويؤكد ما نريد أن نقره ـ هنا ـ وهذا الذي نريد أن تقرّه هو أن هذه الهمزة في هذه الصيغة جاءت فراراً من التقاء الساكنين. يقول الأزهري: (اطمأن، الهمزة فيها، لالتقاء الساكنين إذا قلت: اطمأن، يعني على بناء: اشهأب واحمأر، فإذا قلت: (طامنت) على: (فاعلت) فلا همز فيه... وطمن غير مستعمل في الكلام)[٣].

وهذا يعني أن أصل الفعل عنده (طامَنَ) على زنة: فاعَلَ، فلما حصل فيه قلب مكاني: تحولت الألف إلى موضع الميم، فجئنا بالهمزة من أوّله لنبدأ بها نطق الفعل، فصار الفعل (اطمأن) فلما التقت الألف الساكنة والنون الساكنة، حركت الألف، فلم يجد المتكلم غير النطق بالألف همزة، لأنهما من وادٍ واحد، وهذا التفسير لا يتفق مع مذهب سيبويه[٤] الذي يرى أن الأصل في الفعل الرباعي (طأمن)، واعتنق مذهبه من بعده المبرد[٥] فقال: (ومن القلب قولهم: طأمن، ثم قالوا: الاطمئنان فأخروا الهمزة وقدموا الميم، ومثل هذا كثير)[٦].

ثم انتقلت الهمزة إلى الموضع الجديد في (طمأن)، وقد أيد سيبويه كل من المازني وابن جني، أما الجرمي فيرى أن الأصل للفعل هو (اطمأن) السداسي ولا قلب ولا إبدال[٧]، وأما ابن بري: (٥٨١هـ) فيرى أن الفعل الأصلي هو (طمأن) الرباعي ثم جيء بالهمزة في أوله وضعفت النون، كما قالوا في (تلب): اتلأبّ، وقد انتقد الجوهري

---

(١) ينظر في ذلك: المحتسب في القراءات الشاذة: ٢/ ١٦٨ والخصائص ٢/ ٧٣ ـ ٧٥.
(٢) تهذيب اللغة في: (طمن) و(شهب) وغيرهما.
(٣) ينظر: اللسان: (طمن): ١٣/ ١٣٩.
(٤) الكتاب: ١/ ٣٦.
(٥) المنصف: ٢/ ١٠٤.
(٦) الكامل: ٢/ ١٢٧.
(٧) المنصف: ٢/ ١٠٤.

في وضع (اتلأب) مفسرة في (تلب)[١].

وهذه الأقوال ـ جميعها ـ قد وقعت للغويين في تفسير مثل (اطمأن) و(اشرأب) و(اتلأب) و(احزأل) و(ازبأر) و(ادهأم) لما وجدوا الهمزة في هذا الموضع من هذه الصيغة، فذهب بعضهم إلى ثلاثيتها وبعضهم إلى رباعيتها، وبعضهم إلى أصالة السداسي فيها، وحقيقة الأمر أن موضع هذه الهمزة هو اللف، فهي: (اشرابّ) و(ادهامّ) و(احمارّ)، ولما كانت هذه الصيغة تأتي ـ غالباً ـ بالحرف الحلقي في ما قبل آخرها نحو: «اقشعر» و«ارجحن» و«اكفهر» و«اضحمل» و«اذرعف» و«اجلخب» و«اذلغف» كان مناسباً جداً أن يصيروا إلى الهمزة في النطق، لأنها حرف حلقي يغلب وروده في هذا الموضع، متحولين من الألف الممدودة ليجري البناء في (افعلل) واحداً، وليتخلص النطق من الثقل الحاصل من التقاء الساكنين فيما لو بقي البناء على زنة (افعال) ـ بالمد ـ وأريد استعماله في سياق الشعر ـ مثلاً ـ.

ومنه قول الشاعر: [من الطويل]

وأنت ابن ليلى خير قومك محضرا إذا ما احْمَأَرَّتْ بالعبيط العوامل[٢]

من هنا أقول: إن الألف والهمزة هما حرف واحد، قد ينطق على صورة الهمز إذا أريد له تحقيق الصوت، وقد ذهب كثير من باحثي الأصوات القدماء والمحدثين إلى أن نحو (حمراء) في الأصل من ألفين، تطرفت الثانية، فنطقت همزة[٣]، وأن نحو (سماء) و(بناء) هما سماو وبناي، تطرفت الياء والواو، وقبلهما ألف، فقلبتا ألفاً، فالتقت الألفان، فانقلبت الثانية همزة، لتحركها، وجريان الإعراب عليها.

على أن ذلك لا يمنع من أن تكون الهمزة أصلية في بنية الكلمة (كإنشاء) من أنشأ و(هناء) من: هنأ، و(قراء) من قرأ.

وقد تلحق في آخر بعض البنية، نحو: (علباء) أو في الوصف على (فعلاء) نحو (حمراء)، ولقد سأل سيبويه الخليل عن واو «عجوز» وألف «رسالة» وياء «صحيفة» لأي شي همزن في الجمع، ولم يكن بمنزلة معاون ومعايش، إذا قلت صحائف ورسائل وعجائز؟

---

(١) اللسان: ١/٢٢٦ (تلب).

(٢) وذلك أنهم يرون أن مثل: (حمراء) وبابه، أن الهمزة فيه هي بدل من ألف التأنيث، وأصله: (حمرى)، ككسرى وحبلى، ثم أضيفت إليها ألف أخرى قبلها، فصارت (حمراا) فالتقت ألفان زائدتان، فلم يجز الحذف فيهما، لأن لكل واحدة منهما وظيفة، فقلبوا الثانية بتحريكها همزة. سر الصناعة: ابن جني: ١/٨٣ ـ ٨٤ وشرح المفصل: ج١٠ ص٩.

(٣) الكتاب: ٤/٣٥٦.

فقال: همزت بعد الألف كما يهمز سقاء وقضاء، وكما يهمز قائل...»[١].

وإنما همزوا ـ كما أرى ـ لكون الألف هي الهمزة، وبينهما من العلاقة ما قد مضى الحديث عنه، ولكون الألف في هذا الموطن قد زيدت على جذر المادة، فلا يناسبها إلا الهمزة، فجعلوا ما بعدها همزة في كل الحالات التي ذكرها سيبويه، وعللها الخليل «رحمه الله».

والهمزة نبرة، كما هو معروف في العربية[٢]، فإذا اضطر المتكلم إلى نبر الألف نبرها همزة، كما قالوا في: «رأيت رجلأ» بهمز الألف من (رجلا) للوقوف على الهمزة، وقد تقدم الحديث على هذا من هذا البحث.

وبعد، لقد كانت الهمزة ألفاً والألف همزة في الحالات التي مررنا بها من النطق العربي، ولكن هذه الألف قد تكون جذراً في الكلمة العربية، منقلباً عن واو أو ياء، كما في (قال) و(باع) وخاف وطال، فإن أخذنا اسم الفاعل منها، قلبت همزة فنقول: قائل وبائع وخائف وطائل، على الرغم من أن الواو والياء مختلفة الحركات في (قول) و(بَيَع) و(خوف) و(طوُل). وقد تكون أصلية ـ وهي مجهولة الأصل ـ في نحو: (متى) و(على) و(أنّى)، أو معروفة الأصل عند إجراء بعض الاشتقاق عليها، كما هو الحال في (باب) حين نأخذ منه فعلاً على فعل ـ بتشديد العين ـ فنقول: (بوّب)، أو نجمعه فنقول: (أبواب).

وكذا الحال بالنسبة للهمزة، فقد ننتقل إليها من الألف كما أشرنا، وقد تكون في جذر الكلمة نحو: (أَمِن) و(دأب) و(ملأ)، فإذا سهلت انتقلنا إلى الألف، نحو: (آمن) و(داب) و(ملا) ـ بالألف ـ.

ومن هنا قلنا: إن الألف هي الهمزة، وبالعكس، لكون الاستعمالين يؤديان دلالة واحدة في الكلمات التي تدور على ألسنة الناطقين بالعربية.

ثبت مصادر البحث ومراجعه

الإبدال: الزجاجي (٣٣٧هـ).

ـ **أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي**: د. سهيلة الجبوري، ط: الأديب، بغداد ١٩٥٧م.

ـ **أبو عثمان المازني**: د. رشيد العبيدي: ط٥، ١٩٦٩، دار الجاحظ، بغداد.

ـ **تهذيب اللغة**: الأزهري (٣٧٠هـ)، تح: مجموعة من المحققين المصريين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر: ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩م.

ـ **الجمهرة**: ابن دريد (٣٢١هـ)، ط: كرنكو.

ـ **الخصائص**: ابن جني: (٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر،

(١) انظر: المسائل الشيرازيات: ٦٤١/٢ والبيت لكثير في ديوانه: ٩٧، وفيه: .... خير قومك مشهداً.

(٢) انظر الجمهرة لابن دريد: ٨٣٠/٢ واللسان: (نبر).

١٩٥٢ ـ ١٩٥٦م.

ـ الخط العربي: جذوره وتطوره: د. إبراهيم صمرة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء ١٩٨٧م.

ـ الخط العربي نشأته ـ تطوره ـ مشكلاته ـ دعوات إصلاحه: د. إميل يعقوب، جروس برس، طرابلس، لبنان ١٩٨٦م.

ـ دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي: د. صلاح الدين المنجد، ط: دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٢م.

ـ دراسات في علم اللغة: د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.

ـ سر صناعة الإعراب: ابن جني، تح: د. حسن هنداوي، ط: دار القلم، دمشق ١٩٨٥م.

ـ شرح الأشموني على الألفية: (٩٢٩هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٨هـ.

ـ شرح الجمل: ابن عصفور الإشبيلي: (٦٦٩هـ)، تح: د. صاحب أبو جناح، ط: إحياء التراث الإسلامي، بغداد ١٩٨٢م.

ـ شرح الشافية: الرضي الأسترآبادي: (٦٨٦هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٦هـ.

ـ شرح الشذور: ابن هشام (٧٦١هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: السعادة، مصر ١٩٥١م.

ـ شرح شواهد الشافية: البغدادي (١٠٦٩هـ)، مصر.

ـ شرح المفصل: ابن يعيش: (٦٤٣)، ط: الأزهر، مصر.

ـ الصحاح، الجوهري: (٣٩٨هـ) ط: أحمد عبد الغفور عطار.

ـ علم اللغة العام: د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.

ـ الكامل: المبرد: (٢٨٥هـ): ط: زكي مبارك، مصر.

ـ الكتاب: سيبويه (١٨٠هـ)، ط: بولاق ـ مصر.

ـ كتاب الخط: الزجاجي: (٣٣٧هـ)، تح: غانم قدوري الحمد، نشر مجلة المورد، م/١٩، العدد/١ سنة ١٩٩٠، ص ١٢٤ ـ ١٥٧.

ـ كتاب الكتاب: ابن درستويه (٣٤٧هـ)، تح: د. إبراهيم السامرائي ود. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٧م.

ـ لسان العرب: ابن منظور: (٧١١هـ)، ط: بولاق، مصر.

ـ مختار الصحاح: الرازي (٦٦٦هـ)، ط: دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.

ـ المخصص: ابن سيده (٤٥٨هـ)، ط: مصر.

المفصل: الزمخشري: (٥٣٨هـ)، مصر.

المقتضب: المبرد (٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٨٥هـ.

ـ المنصف: ابن جني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط: مصطفى البابي الحلبي، مصر: ١٩٥٤ ـ ١٩٦٠م.

ـ الهمزة، مشكلاتها وعلاجها: د. شوقي النجار، دار الرفاعي، السعودية، ١٩٨٤م.

ـ الهمزة: فؤاد حسنين: بحث نشره في كلية الآداب المصرية ع/١ م/٨، سنة ١٩٤٦ من: ص ١٢٩ إلى ص ١٣٨.

ـ الوجيز: الأنطاكي: دار الشرق، حلب ١٩٦٩م.